علة العلل فى مصر

مشكلة ازدحام السكان

طالعتنا مجلة الشؤون الاجتماعية بآراء كبار رجال مصر فأجمعوا جميعا على أن علل مصر كلها تنبع من مشاكل ثلاث هى الفقر والجهل والمرض ولو دققنا النظر لوجدنا أن علة العلل فى مصر هى ازدياد السكان زيادة عظيمة جعلت محصول مصر لا يكفى أهلها، فتسبب عنها الفقر، والجهل والمرض .

بينما يزعم البعض أن مصر تواجه مشكلة ازدياد السكان يرى البعض الآخر أنها لم تبلغ بعد هذه الدرجة ، فيعضد الرأى الأول الأستاذ كراوشلى[٢] إذ يقول "ولا يمكننا أن نجزم بأن مصر اليوم مزدحمة بالسكان فهناك مساحات كبيرة من الأراضى التى أصلحت حديثا فى شمال الدلتا والتى وقف تقدمها بسبب النقص فى العمال الزراعيين " ... ... " ليست المشكلة مشكلة ازدحام السكان بل سوء توزيع " ... ... " ولا نتوقع أن تواجه مصر فى المستقبل القريب مشكلة ازدحام السكان، فيمكن زيادة الأراضى الصالحة للزراعة بنسبة ٥٠٪ إذا صرفت عدة ملايين من الجنيهات على الرى والصرف " .

ويعضد الرأى الثانى الدكتور وندل كليلاند[١] إذ يقول " إن كانت الحالة الحاضرة سيئة فإن المستقبل سيكون أسوأ ما لم تتخذ خطوات سريعة لكى تعالج هـذه الحالة . فإذا نظرنا إلى المشكلة من أى ناحية ، فإننا لا مناص ملزمون بالجزم بأن مصر شديدة الازدحام بالسكان " . والغريب أن كتاب الأستاذ كراوشلى طبع بعد كتاب الدكتور كليلاند .

ويبدو لنا أن الرأى الثانى هو الصائب إذ أننا إذا نظرنا إلى الاحصاءات السابقة للسكان ولمساحات الأراضى وجدنا أن ازدياد السكان فاق الزيادة فى الأراضى المزروعة ، وهـذا سبب المشاكل الكثيرة التى نحن الآن بصددها .

ففى عام ١٨٩٧ كان تعداد مصر ٩,٧٣٤,٤٠٥

وفى « ١٩٠٧ « « « ١١,٢٨٧,٣٥٩

وفى « ١٩١٧ « « « ١٢,٧٥٠,٩١٨

(١) CROUCHLEY, A. E., "The Economic Development pf Modern Egypt"

(٢) CLELAND, W., "The Population Problem of Egypt"

وفى عام ١٩٢٧ كان تعداد مصر ١٤,٢١٧,٨٦٤

» ١٩٣٧ » » ١٥,٩٠٤,٥٢٥

(هذه الأرقام مستقاة من كتاب مشكلة السكان فى مصر للدكتور كيلاند ما عدا الرقم الأخير) .

وهذا الجدول يبين بجلاء التقدم السريع فى عدد سكان مصر فى الأربعين عاما الماضية ويقول حضرة صاحب السعادة محمد على علوبه باشا "يرى بعض رجال العلم أن بلدا هذا شأنه لا تزيد مساحة الأراضى الزراعية فيه والقابلة للزراعة عن ٣٥,٠٠٠ كيلو متر مربع . لا تزيد إلا قليلا لا يمكنه أن يغذى غذاء صحيا أكثر من اثنى عشر مليونا من الأنفس" . وفى عام ١٩٣٩ ، كان عدد سكان مصر ١٦,٥٢٢,٠٠٠ نسمة أى أن بمصر حوالى أربعة ملايين ونصف نفس زيادة على مقدرتها ولا غرابة إذا قرأنا أن مصر تفوق جميع الدول فى نسبة ازدحام سكانها وسرعة نموها ، فقد كنتجهام فى كتابه " أنه لا يمكن لأى دولة أوربية مهما كان لها من شأن أن تفوق مصر فى سرعة نمو سكانها منذ عام ١٨٩٧ " .

وأمام هذه الزيادة المنقطعة النظير لا يمكننا الوقوف مكتوفى الأيدى ، إذ أن الزيادة ستستمر وستزداد على توالى السنين وسيستفحل أمرها ويعظم شأنها ما لم تمتد اليها يد الاصلاح السريع .

فى مصر حوالى أربعة عشر مليونا لا يملكون من أرض مصر شروى فقير ولا يتفعون من خيراتها الا بالقدر اليسير والقسط التافه رغم أنهم هم الذين ينتجون ثروة مصر وهم حضارتها . يستخرجون التبر من التراب ولا يناله منه سوى النذر القليل من الشوائب العالقة به . وقد ذكر حضرة صاحب العزة عبد السلام محمود بك مدير المنوفية فى تقريره الذى قدمه لدولة حسين سرى باشا فى العام الماضى أنه نظرا لازدحام السكان فى مديرية المنوفية ، يتناول الفلاح قرشا واحدا فى اليوم نظير تعبه فى الحقل من طلعة الشمس إلى غروبها . هذا حال ٨٠٪ من سكان مصر ، أى أن البلاد كلها تعانى الفقر بسبب ازدحام السكان .

(١) محمد على علوبة باشا " مشكلة الشباب " مجلة الشؤون الاجتماعية — العدد الأول يناير سنة ١٩٤٢ صفحة ١٩

(٢) " احصاء القطر المصرى لعام ١٩٣٩ — ١٩٤٠ " .

(٣) CUNNLNGHAM, A., "To Day In Egypt" London: Hurst & Blachett, 1912.

(٤) Fellaheen Living On P.T. 1Per Day', The Egyptian Gazette March 12, 1941

وقد ذكر فى تقويم الهلال لعام ١٩٣٨ فى مقالة عنوانها " هل ضاقت مصر بسكانها " أنه إذا كانت أرض مصر لا تكفى أبنائها حتى ولو وزعت بينهم جميعا توزيعا عادلا ، فما بالك وقد حرم أكثرهم أن يمتلك شبرا منها ، وخصص نصفها لبضعة آلاف قد لا يحسنون استثمارها لاتساع رقعتها ولزيادة عن حاجتهم ؟

فان أردنا الإصلاح الاجتماعى فلنبدأ بمشكلة السكان فى مصر ولنعالجها لأن منها مخرج المشاكل الأخرى وتنشعب . وهنا يبدو لسائل أن يسأل " وكيف نعالج مشكلة السكان " ؟

هناك حلان لا ثالث لهما . الأول هو زيادة الإنتاج المحلى ورفع مستواه حتى يتمشى مع نمو السكان ويتناسب معه . يمكننا أن نتمنى ثروتنا بشتى الطرق ، فهناك مليون فدان من الأراضى التى يمكن إصلاحها فى الوجه القبلى ومليونين فى الوجه البحرى . وهذه الأراضى لو تم إعدادها للزراعة وذلك بتصريف المياه منها وترسيب طمى النيل فيها لساعدت على تخفيف وطأة ضغط السكان ولكانت مأوى لعدد كبير من الفلاحين يسكنون فيها ويفلحون أرضها ، وينتفعون مما تنتجه من الأرز والغلات الأخرى [١] فلو علم المصريون أن طمى النيل الغنى يذهب هباء فى البحر سنويا دون أن يستفاد منه وأن قيمة هذا الطمى تبلغ زهاء مليون جنيه وأنها كافية لكى تغطى مساحة قدرها ٨٠٠٠ فدان بطبقة من الطمى سمكها متر، لعلموا مقدار ما يخسرونه كل عام من أخصب سماد . ولو علموا أنهم ينفقون سنويا ثمانية ملايين من الجنيهات يشترون بها السماد من الخارج وأن الحرب الحالية قد سببت قلة الوارد منه وارتفاع سعره وشدة حاجتهم اليه ، لو علموا كل هذا لعضوا أصابعهم حسرة وندما على الفرصة التى ضاعت منهم عندما رفضوا مشروع كهربة خزان أسوان ، الذى كان يمكنهم بواسطة أن يصنعوا السماد من الجو ويوفروا بذلك هذا المبلغ الطائل الذى يخرج من جيوب المصريين إلى البلاد الأجنبية [٢]

ولكن تمكن من زراعة الأراضى البور ، لكى نحتاج إلى الماء ولكى نروى به هذه الأراضى الجديدة . ولا ننسى أن هناك أربعة مشروعات للرى يمكن لمصر لو نفذتها أن تحتفظ بكل نقطة من مياه النيل لأنه أثمن شىء لديها ولولا النيل لكانت مصر صحراء قاحلة فالمشروع الأول يرمى إلى تحويل بحيرة فيكتوريا إلى خزان طبيعى وذلك بإقامة سيرعند بدء خروج النيل منها وبهذا يمكن الوثوق من حفظ كميات كبيرة من المياه فى البحيرة والمشروعان الثانى والثالث يماثلان المشروع الأول وهما يرميان إلى تحويل بحيرة تانا وبحيرة البرت إلى خزانين للماء . أما المشروع الرابع فقد اقتراحه السير وليم جارستن والسير مردخ ماكدونالد، وهو يقضى .

بأن تحفر قناة بين مدينتي التوفيقية و بور ، و يحول إليها مجرى النيل مبتدئا من منطقة غابة شامبي التي تضع فيها مقادير كبيرة من مياه الفيضان [١] .

هذا من جهة إنماء ثروتنا الزراعية ، أما ثروتنا الاقتصادية فان أتعرض لها لأنها تحتاج إلى بحث دقيق جدا و يستغرق الكلام عنها كثيرا .

والحل الثاني الذي به يمكننا أن نعالج به مشكلة السكان هو العمل على نقصه . وكيف ذلك بالتعليم والإرشاد ، فقد أثبتت دول الغرب صدق هذه النظرية وهي أنه كلما ازداد الشعب علما كلما نقص عددهم . وهذه الحقيقة هي التي لم يوفق إليها " مالثوس " أول من عالج مشكلة السكان ووجه نظار العالم اليها. أنه خير لنا أن نكون شعبا ممتلىء الصحة موفور الغذاء وعددنا إثنى عشر مليونا من أن يكون عددنا سبعة عشر مليونا ولا يجد معظمنا الطعام الصحي . وقد ذكر الدكتور محمد عوض محمد [٢] أن معدل عمر الرجل المصري ٢٧ عاما والمرأة المصرية ٢٤ عاما. فاذا عددنا أن السن التي فيها يبدأ الشخص بخدمة وطنه وهي الثامنة عشرة فان المصري لا يخدم مصر إلا بتسعة أعوام على المتوسط . أما في إيطاليا فان معدل عمر الرجل هو ٤٩ عاما وفي فرنسا ٥٢ وفي انجلترا وألمانيا ، وعند هذا فان الرجل الإنجليزي يقدم لوطنه خدمة ٣٧ عاما وهذا يعني أن حياة مليون بريطاني خير من حياة أربعة ملايين مصري

ولعل المرض هو السبب في هبوط متوسط عمر الرجل المصري ، والمرض سببه :

الفقر ، والفقر نتج عن ازدحام السكان . فان أردنا بمصر خيرا فلنبدأ أولا بعلاج علة العلل " مشكلة السكان " .

وديع فلسطين

---

(١) الدكتور محمد عوض محمد ، " نهر النيل " — لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٩

(٢) « « « « « ، " سكان هذا الكوكب " لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦